

﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ [الأنبياء: 55]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا اسْتَبَعَدُوا
تَضْلِيلَ آبَائِهِمْ
ظَنُّوا أَنَّ مَا قَالَهُ
إِبْرَاهِيمُ هُوَ عَلَى
وَجْهِ الْمَلَاذِبَةِ

لَمَّا سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ مَقَالََةَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ وَهُمْ مُسْتَبْعِدُونَ أَنْ يَكُونَ مَا هُمْ عَلَيْهِ ضَالِّينَ، وَهُمْ مُتَعَجِّبُونَ مِنْ تَضْلِيلِهِ ﷺ إِيَّاهُمْ؛ إِذْ كَانَ قَدْ نَشَأَ بَيْنَهُمْ، وَلَمْ تَكُنْ عَادَتُهُ مُوَاجَهَةَ أَحَدٍ بِمَا يَكْرَهُ، مِمَّا جَعَلَهُمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي كَوْنِ ذَلِكَ مِنْهُ ﷺ عَلَى وَجْهِ الْجِدِّ، وَيُظَنُّونَ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ عَلَى ظَاهِرِهِ، فَقَالُوا مُسْتَفْهِمِينَ: ﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾⁽¹⁾.

لَمَّا شَدَّدَ إِبْرَاهِيمُ
فِي الْإِنْكَارِ
اسْتَبَعَدُوا أَنْ
يَكُونَ جَادًّا

لَمَّا حَقَّقَ إِبْرَاهِيمُ عَلَى قَوْمِهِ أَنَّ الْبَاطِلَ لَا يَصِيرُ حَقًّا بِسَبَبِ كَثَرَةِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهِ، وَلَمْ يَجِدُوا مِنْ كَلَامِهِ مَخْلَصًا، وَرَأَوْهُ ثَابِتًا عَلَى الْإِنْكَارِ، قَوِيَ الْقَلْبُ فِيهِ، وَكَانُوا يَسْتَبْعِدُونَ أَنْ يَجْرِيَ مِثْلُ هَذَا الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ مَعَ كَثَرَتِهِمْ وَطُولِ الْعَهْدِ بِمَذْهَبِهِمْ، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالُوا لَهُ: ﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ مُوْهِمِينَ بِهَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُ يَبْعُدُ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ جَادًّا فِي ذَلِكَ⁽²⁾.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿بِالْحَقِّ﴾: (حَقٌّ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ الشَّيْءِ وَصِحَّتِهِ، وَيُقَالُ: حَقُّ الشَّيْءِ؛ وَجِبَ، وَالْحَقُّ: نَقِيضُ الْبَاطِلِ⁽³⁾، وَأَصْلُ الْحَقِّ: الْمَطَابَقَةُ وَالْمُوَافَقَةُ، وَالثَّبَاتُ، وَمِنْ مَعَانِيهِ: الصِّدْقُ، وَالصَّوَابُ، وَالصَّحِيحُ، وَضَدُّ الْبَاطِلِ الزَّائِفِ، وَالْعَدْلُ، وَالْإِسْلَامُ، وَأَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا أَتَى بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ⁽⁴⁾، وَمَعْنَى ﴿بِالْحَقِّ﴾ فِي الْآيَةِ: بِالصِّدْقِ وَالشَّيْءِ الثَّابِتِ الْمَطَابِقِ لِلْوَاقِعِ⁽⁵⁾.

(1) أَبُو حَتَّى، الْبَحْرُ الْحَبِيطُ: 7/ 443، وَالْبِقَاعِيُّ، نِظْمُ الدُّرَرِ: 12/ 436، وَأَبُو السَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 6/ 73.

(2) الْفَخْرُ الرَّازِيُّ، مِفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 22/ 152.

(3) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللَّغَةِ: (حَقٌّ).

(4) الرَّيْدِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ، وَمُحَمَّدُ جَبَلٌ، الْعَجْمُ الْاِشْتِقَاقِيُّ لِلْوُضَلِ: (حَقٌّ).

(5) الْخَازِنُ، لِبَابِ التَّأْوِيلِ: 3/ 228، وَالْبِقَاعِيُّ، نِظْمُ الدُّرَرِ: 5/ 91، وَاللَّوْغِيُّ، تَفْسِيرُ اللَّوْغِيِّ: 17/ 43.

(2) ﴿اللَّعِبِينَ﴾: اللَّعِبُ واللَّعِبُ: ضِدُّ الْجِدِّ، وَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَا يُجْدِي عَلَيْهِ نَفْعًا إِنَّمَا أَنْتَ لَاعِبٌ⁽¹⁾، أَوْ كَانَ فَعْلُهُ غَيْرَ قَاصِدٍ بِهِ مَقْصِدًا صَحِيحًا، وَهُوَ بِمَعْنَى الْهَزْلِ⁽²⁾، وَمَعْنَى ﴿مِنَ اللَّعِبِينَ﴾: مِنَ الْهَازِلِينَ أَوْ الْعَابَثِينَ فِي الْقَوْلِ⁽³⁾، أَيْ: تَلْعَبُ بِنَا وَتَهْزَأُ⁽⁴⁾، وَالْمُرَادُ بِاللَّعِبِ هُنَا لَعِبُ الْقَوْلِ وَهُوَ الْمُسَمَّى مَزْحًا⁽⁵⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

قال أبو إبراهيم وقومُه له متعجِّبين حينما صُدموا بِرَدِّهِ الشَّدِيدِ، وَبِحِجَّتِهِ الَّتِي قَرَعَتْ أَسْمَاعَهُمْ، وَمَلَأَتْ نَفُوسَهُمْ أَلَمًا وَحُزْنًا: أَجْتَنَّا فِيمَا تَقُولُ بِالْخَيْرِ وَالْحَقِّ الصَّرِيحِ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْنَا اتِّبَاعَهُ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ اللَّاهِينَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا يَقُولُونَ بِقَصْدِ الْهَزْلِ وَالْمَلَاعِبَةِ؟ وَهَكَذَا الْمَغْرُورُ الْمَخْدُوعُ مُزْعَزَعُ الْعَقِيدَةِ حِينَمَا يُجَابَهُ بِالْحَقَائِقِ النَّاصِعَةِ يَسْتَبْعِدُ أَنَّ مَا عَلَيْهِ هُوَ وَأَبُوهُ ضَلَالٌ وَخَطَأٌ، فَيَتَعَجَّبُ لِذَلِكَ⁽⁶⁾.

سؤال مغرور
مُعْطَلٍ لِفِكْرِهِ
بتأثير الوهم
والتقليد

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

سُرْ فَصْل الْآيَةِ عَنِ الَّتِي قَبْلَهَا:

فَصَلَ الْبَيَانُ الْقُرْآنِيُّ جُمْلَةً ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ عَنِ الَّتِي قَبْلَهَا؛ إِمَّا لِأَنَّهَا جَاءَتْ جَوَابًا عَلَى كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي بَيَّنَّ فِيهِ ضَلَالَتَهُمْ وَضَلَالَ آبَائِهِمُ الْعَجِيبَ الظَّاهِرَ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى عَاقِلٍ، بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، وَذَلِكَ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُحَاوَرَاتِ الَّتِي يُحَذِّفُ فِيهَا الْعَاطِفُ كِرَاهِيَةَ تَكَرُّارِهِ بِتَكَرُّارِ

استئناف يبين
استبعاد قوم
إبراهيم لكلامه
أن يكون على
سبيل الجد

(1) ابن منظور، لسان العرب: (لعب).

(2) الزَّاعِبُ، الْفَرْدَات: (لعب)، وَالسَّمِينُ الْحَلِي، عمدة الحفاظ: 4 / 25.

(3) دروزة، التفسير الحديث: 5 / 275.

(4) اللَّاتْرِيدِي، تأويلات أهل السنة: 7 / 353.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 17 / 95.

(6) سَيِّدُ طَنْطَاوِي، التفسير الوسيط: 9 / 222، وَالْحِجَازِي، التفسير الواضح: 2 / 540.

أفعال القول، أو لشبه كمال اتصال، أي: قد جاءت استئنافاً بيانياً مبنياً على سؤال مُقَدَّرٍ نشأ عنها من الآية التي قبلها، وذلك أنه بعد أن حَقَّقَ إبراهيم ضلالهم المبين بقوله: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، وحالهم في استبعاد كون ما هم عليه ضلالاً، كأنه قيل: فماذا كان جوابهم؟ فقيل: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾⁽¹⁾.

سر التعبير بفعل القول الماضي للمجموع:

عبّر البيان الإلهي بالماضي المجموع ﴿قَالُوا﴾ في قوله: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾؛ للدلالة على أن فعل القول من والد إبراهيم وقومه قد وقع وتحقق؛ لأن الماضي يدل على زمن وقوع الحدث قبل زمن نزول الآية، فهي حكاية قصة حدثت وانتهت ولم تتكرر، ولأن صيغة الفعل الماضي تناسب السياق الذي جاء الحوار فيه كله بصيغة الفعل الماضي (قال).

وأما التعبير بصيغة الجمع ﴿قَالُوا﴾ دون التصريح بذكر أبي إبراهيم وقومه؛ فإنه للاختصار؛ فقد سبق ذكرهم ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ﴾؛ ولو ذكرهم لطال الكلام بلا فائدة، كما أن التعبير بصيغة الجمع فيه إشارة إلى أن قومه قد أطبقوا على هذا القول واتفقوا عليه، ورضي به جميعهم؛ أي: جالت به صدور بعضهم، ونطقت به ألسنة آخرين، مما يدل على سوء حال قومه وانغماسهم في الضلالة كما وصفهم إبراهيم ﷺ.

بلغة الاستفهام بالهمزة في قوله ﴿أَجِئْتَنَا﴾:

الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ يحتمل أن يكون استفهاماً حقيقياً لا مجازياً مشوباً بمعنى التعجب، أي: لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالاً بقوا متعجبين من

اتَّفَقَ قَوْمُ
إِبْرَاهِيمَ عَلَى
إِنْكَارِ قَوْلِهِ يُشِيرُ
إِلَى سُوءِ حَالِهِمْ
وَضَلَالِهِمْ

تَعَجَّبَ قَوْمُ
إِبْرَاهِيمَ
وَأِنْكَارُهُمْ لِقَوْلِهِ
الَّذِي أَذْهَلَهُمْ

(1) اللُّطْعَنِي، التفسير البلاغي للاستفهام، ص: 376.

تضليله إياهم، وحسبوا أن ما قاله إنما قاله على وجه المزاح والمُداعبة، فقالوا له: هذا الذي جئنا به، أهو جدٌ وحقٌّ، أم لعبٌ وهزلٌ؟⁽¹⁾ ويحتمل أن يكون مجازياً لا حقيقياً، أي: هو استفهام استبعادٍ وتعجبٍ أن يكون ما قاله لهم على سبيل الجدِّ⁽²⁾، أو هو استفهام إنكاريٍّ بمعنى النفي، فهو لإنكار الوقوع، ومعناه: ما جئنا بالحقِّ، بل أنت من اللاعبين؛ لأن الضلال استغرق قلوبهم، وسدَّ مسامع الإدراك في أفكارهم، فحسبوا أن ذلك هو الحقُّ⁽³⁾.

سرُّ التعبير بلفظ المجيء فعلاً ماضياً:

عبر النصُّ القرآنيُّ بلفظِ المجيء في قوله: ﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ ولم يُعبّر بلفظِ الإتيان؛ لأنَّ المجيءَ أعمُّ وأشملُّ وأنسبُ للمقام والسياق؛ فهو تمامُ الإتيان، ويُعبّر به عن قصدِ الأمر والتدبير له⁽⁴⁾، ويكون في الشيء الذي فيه صعوبةٌ وشدةٌ للوصول إليه⁽⁵⁾، ويُقال باعتبارِ الحصول⁽⁶⁾، وهذه المعاني أعمُّ من مجرد الإتيان، وأنسبُ مع المقام؛ إذ حالُ إبراهيم هو حالُ قوّةٍ في الدعوة إلى الحقِّ والأمر به، والقولُ منه بالإنكار قد حصلَ وانتهى، وكان عن قصدٍ وتدبيرٍ، وهو أنسبُ مع السياقِ سواءً أكان ذلك في استعمالِ لفظِ (الحقِّ) الذي يدلُّ على القوّة والتدبير، أم في الاستفهام الإنكاريِّ أو التعجبيِّ أو التقريريِّ ﴿أَجِئْتَنَا﴾، أو في لفظِ ﴿اللَّاعِينَ﴾ الذي جاء مقابلاً وضدّاً للمجيء بالحقِّ.

وأتى بفعلِ ﴿أَجِئْتَنَا﴾ بصيغة الماضي دون المضارع؛ للدلالة على تحقُّق وقوعه، أي: وقوع فعلِ المجيء بالشيء العظيم، وهو الإنكارُ

قُوَّةٌ مجيء
إبراهيمَ بالحقِّ
استدعى تعجّب
قومه منه

(1) الرّمخسري، الكشف: 122/3.

(2) الألوسي، روح المعاني: 57/9.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4883/9.

(4) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: 361/1.

(5) الزاغب، المفردات: (أتي).

(6) الزاغب، المفردات: (جاء).

عليهم بالقول الذي تعجبوا منه أشدَّ التعجب، أي توكيداً لمواجهته إياهم، وتوطئة لتوجيه ذهبتهم، أو إنكارهم إذا حُمِلَ هذا الاستفهام على المجاز⁽¹⁾، كما أنَّ التَّعبيرَ بالفعل الماضي ناسبَ معنى المجيء الذي هو الحصول والتَّحقُّق، ووافق عادة القرآن التي لم يرد لفظ المجيء في القرآن إلا ماضياً؛ بما يفيد الحدوث الفعلي وتحقُّق الوقوع.

بلاغة الاستعارة التصريحية التَّبعية في المجيء:

في لفظ المجيء استعارة تصريحية تبعية؛ لأنَّ المشركين لم يريدوا من إبراهيم قُدومه بالحق من مكانٍ إلى مكانٍ، بل المراد منه مطالبته إياهم بترك عبادة الأصنام، وتوحيد الله وقصر العبادة عليه سبحانه⁽²⁾، أي إنَّهم شبَّهوا مطالبته إبراهيم لهم بالحق بقُدومه بالحق من مكانٍ إلى مكانٍ هم فيه، وحذفوا المشبَّه وصرَّحوا بذكر المشبَّه به؛ ليجيء المعنى في صورة واضحة قريبة من الأذهان، تُبرِّز استبعادهم لأن يكون ما يُطالبهم به هو الحق، وتأكيدهم على أنَّه لعب وهزل؛ لأنَّ المجيء يُعبَّر به عن القصد بالأمر الذي فيه صعوبة وشدة للوصول إليه والتدبير له⁽³⁾، وهذا إفراط في معاندتهم وتحديهم.

بلاغة الإيجاز بالحذف في القول:

حذف البيان القرآني أداة النداء والمنادى (يا إبراهيم) في قوله: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾، فلم يقل: قالوا: (يا إبراهيم أجئتنا)؛ اختصاراً، وللاشارة إلى ما تُكثِّره صدورهم من إرادة تحقير إبراهيم ﷺ وعدم الاعتداد به، أي: يكونون قد كنوا بحذف اسمه من الكلام عن احتقارهم، وعدم الاكتراث بما يقول⁽⁴⁾.

مِنْ ضَالِلِ
لِلْمُشْرِكِينَ
اِسْتِبْعَادُ كَوْنِ
مَا يُطَالِبُهُمْ
بِهِ إِبْرَاهِيمُ هُوَ
الْحَقُّ

حَذَفَ يَشِيرُ
إِلَى مَا تُكَيِّدُهُ
صُدُورُهُمْ مِنْ
إِرَادَةِ تَحْقِيرِ
لِإِبْرَاهِيمِ

(1) الطَّعْنِي، التفسير البلاغي للاستفهام، ص: 376، 377.

(2) الطَّعْنِي، التفسير البلاغي للاستفهام، ص: 376.

(3) الزَّاعِب، المفردات: (أَي)، والسَّمين الحلي، عمدة الحفَّاظ: 1/ 361.

(4) الطَّعْنِي، التفسير البلاغي للاستفهام، ص: 376.

معنى الباء في قوله ﴿بِالْحَقِّ﴾:

(الباء) في قوله تعالى: ﴿أَجِئْنَا بِالْحَقِّ﴾ لِلْمُصَاحَبَةِ، والمعنى: أَجِئْنَا بِقَوْلٍ مَلِصِقٍ مُطَابِقٍ لِلْحَقِّ لَا يَنْفُكُ عَنْهُ، أي: هل هو ملاصقٌ وملايسٌ لاعتقادك؟ لأنهم لشدة انغماسهم في الضلالة تردّدوا في اعتبار ما كان من إبراهيم على وجه الجدِّ، والمعنى: أَجِئْنَا بِالْحَقِّ فِي اعْتِقَادِكَ أَمْ أَرَدْتَ بِهِ الْمَزْحَ (1).

تردّد المشركين في
عدّ قول إبراهيم
على وجه الجدِّ

سرُّ إثبات لفظ الحقّ مادةً وصيغةً:

أثر البيان القرآنيّ التعبير بلفظ ﴿بِالْحَقِّ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّعِينِينَ﴾ دون التعبير بالجدِّ الذي يقابل اللَّعِبَ؛ مراعاةً لحال المخاطبين من قوم إبراهيم، فإنهم لإنكارهم أَنْ يَكُونُوا ما عليه آبائهم ضلّالاً، وإيقانهم أَنَّ آباءهم على الحقِّ، شكّوا في حال إبراهيم؛ أَنْطَقَ عَنْ جِدِّ مِنْهُ وَأَنَّ ذَلِكَ اعْتِقَادُهُ، ولذا عَبَّرُوا (بِالْحَقِّ) (2).

شكّ قوم
إبراهيم بما
دعاهم إليه
اغترار منهم
أنهم وآباءهم
على الحقّ

كما أنّه أثر صيغة المصدر ﴿بِالْحَقِّ﴾ على الرغم من أنّه عبّر في الجملة الثانية باسم الفاعل ﴿اللَّعِينِينَ﴾ أي لم يقل: أَجِئْنَا جَادًّا؛ للإشارة إلى أَنَّ ما أنكروه على إبراهيم ﷺ هو الحقُّ نفسه غير ملتبسٍ بفاعل، قاصدين بذلك تعرية ما قاله لهم إبراهيم ﷺ من أَنَّ تكونَ له أدنى صلةٍ بالحقِّ أو الجدِّ (3).

دلالة العطف بـ ﴿أَمْ﴾:

تَحْتَمِلُ ﴿أَمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّعِينِينَ﴾ أَنَّ تكونَ (4): مُتَّصِلَةً، وإنَّ كان بعدها جملة؛ لأنها في حكم المفرد؛ إذ

اتّصالٌ يطلب
تعيين أحد
الأمرين،
وانقطاع يجزئ
باتّهام إبراهيم
بأنه من الهازلين

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 95 / 17.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 95 / 17.

(3) اللطعني، التفسير البلاغي، ص: 677.

(4) الألوسي، روح المعاني: 57 / 9.

التقدير: (أي الأمرين واقع: مجيئك بالحق أم لعبك؟) (1)، أو منقطعة، واختاره الطيبي؛ لأن الاستفهام وقع في مقام المفاولة بين خليل الله ﷺ وبين أعداء الله، وبيان ذلك أنهم لما سمعوا منه ﷺ ما يدل على تحقير آلهتهم وتضليلهم وتضليل آبائهم على أبلغ وجه، وشاهدوا منه الغلظة والجِدَّ طلبوا منه ﷺ البرهان، فكانهم قالوا: هب أنا قد قلدنا آباءنا فيما نحن فيه فهل معك دليل على ما ادَّعيت **﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾**، ثم أضربوا عن ذلك وجاؤوا بـ **﴿أَمْ﴾** المتضمنة لبعنى (بل) الإضرابية (والهمزة) التقديرية، فأضربوا بـ **﴿أَمْ﴾** التي بمعنى (بل) عما أثبتوا له، وقرروا بالهمزة خلافه على سبيل التوكيد والبت، وذلك أنهم قطعوا أنه لا عب ولا يس بمحقق البتة. (2) أي: كأنهم قالوا: أجئنا بالحق يا إبراهيم، ثم جزموا بأنه من اللاعبين الهازلين.

فائدة تنوع الجملتين بين الفعلية والاسمية:

حكم من قوم
إبراهيم بأن
مجيئه بالحق
حدث طارئ
ولعبه بالقول
أمر ثابت

مما يزيد الوصل حسناً اتحاد الجملتين في الكيفية كأن تكونا اسميتين أو فعليتين أو غير ذلك، ولكن البيان القرآني عدل عن ذلك في قوله تعالى **﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾**؛ لأنه قصد في الأولى **﴿أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾** الحدوث، وكأنهم يقولون: أحدث منك مجيء بالحق ولم تكن كذلك؟ وفي الثانية **﴿أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾** الثبات؛ ليفيدوا الاستمرار والدوام، والمعنى: أم أنت مستمر في لعبك الذي عهدناه فيك، ولو قالوا: أم لعبت، وجاؤوا بالفعلية لأفادوا أن اللعب حادث طارئ، وأنه كان قبل ذلك جاداً غير هازل، وهذا غير مراد لهم (3).

كما أن في ذلك إيذاناً بأن ما يقوله إبراهيم من وصفهم وآباءهم بالضلال المبين هو على وجه المداعبة والمزاح منه لا على

(1) السمين الحلي، الدر المنثور: 169 / 8.

(2) الطيبي، فتوح الغيب: 365 / 10.

(3) محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ص: 300.

وجه الجِدِّ هو الراجحُ عندهم⁽¹⁾، أي كأنَّهم حَكَمُوا عليه بأنَّه لَاجِبٌ هَازِلٌ فِي مَقَالَتِهِ لَهُمْ⁽²⁾، وَأَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ مُحَقَّقٌ ثَابِتٌ، وبأنَّ كونه حَقًّا أَمْرٌ مَشْكُوكٌ فِيهِ عندهم غَيْرُ ثَابِتٍ⁽³⁾، وفي هذا دَلِيلٌ على انغماسهم في الضَّلَالِ وتمكُّنهم منهم، وعلى إصرارهم على هذا الضَّلَالِ.

وجه التَّعبير بِالضَّمِيرِ ﴿أَنْتَ﴾:

عبرَ البيان الإلهيُّ في ردِّ قومِ إبراهيمَ له بالضَّمِيرِ ﴿أَنْتَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾، ولم يقل: أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ بِاللَّعِبِ؛ لما في ذكرِ هذا الضَّمِيرِ من زيادةِ اختصاصهم لإبراهيمَ ﷺ بِاللَّعِبِ والهزلِ، وتأكيدِ حكمهم عليه بالهزلِ، ولكونِ المجيءِ بالضَّمِيرِ ﴿أَنْتَ﴾ اقتضى أَنْ تكونَ الجملةُ اسميَّةً تدلُّ على الثَّباتِ والاستقرارِ، أي للدَّلالةِ على أَنَّهُمْ قصدوا تحقيقَ كونه من اللَّاعِبِينَ، وحكموا عليه بذلك حُكْمًا مُؤَكَّدًا ثَابِتًا مُسْتَمِرًّا⁽⁴⁾، وفي هذا هَرُوبٌ منهم من الإتيانِ بِالْحُجَّةِ إلى اتِّهامه بالهزلِ وفي هذا دليلٌ على شِدَّةِ عنادهم.

معنى ﴿مِنْ﴾ في قوله:

حرفُ الجرِّ ﴿مِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ بيانيَّةٌ، والمعنى: أَجِئْتَ بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ لَاعِبٌ، ومجيئُها هنا يَشِيرُ إلى كونهم بِالْعُفَا في الحكم على إبراهيمَ بتوغُّلِ كلامه ذلك في بابِ المزحِ، بحيث يكونُ قَائِلُهُ مَعْدُودًا من الفريقِ الموصوفِ بِاللَّعِبِ والهزلِ⁽⁵⁾، وفي هذا إشارةٌ منهم إلى أَنَّهُمْ لَا يُعِيرُونَ كلامه التفاتًا.

سِرُّ إِبْتِارِ لَفْظِ اللَّعِبِ فِي قَوْلِهِمْ ﴿اللَّاعِبِينَ﴾:

المُرَادُ بِاللَّعِبِ فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ لَعِبُ الْقَوْلِ

تأكيدُ حُكْمِ قومِ
إبراهيمَ عليه
بِاللَّعِبِ دَلِيلٌ
على عنادهم

بيانٌ لموقفِ
المشركينَ من
تضليلِ إبراهيمَ
لهم ولآبائهم

في عدمِ نِسْبَتِهِمْ
الباطلَ إلى
إبراهيمَ إشارةٌ
إلى ضعفِ
حُجَّتِهِمْ

(1) أبو السَّعُود، إرشاد العقل السليم: 6/ 73.

(2) أبو حَتَّان، البحر المحيط في التفسير: 7/ 443.

(3) ابن عَرَفَةَ، تفسير ابن عَرَفَةَ: 3/ 164.

(4) ابن عَرَفَةَ، تفسير ابن عَرَفَةَ: 3/ 164، وأبو زَهْرَةَ، زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ: 9/ 4883.

(5) الطَّبَّيْ، فتوح الغيب: 10/ 365، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 17/ 96.

وهو المسمى مَرَحًا، وقد آثر البيانُ القرآنيُّ التعبيرَ بلفظِ اللَّعِبِ في قولهم دون لفظِ البطلان، أي لم يقولوا: من المبطلين؛ للإشارة إلى أنهم أرادوا بتأويلِ كلامِ إبراهيمِ بالمرحِ التَّلَطُّفَ مَعَهُ، وَتَجَنَّبَ نِسْبَتَهُ إلى الباطلِ اسْتِجْلَابًا لِخَاطِرِهِ لِمَا رَأَوْا مِنْ قُوَّةِ حُجَّتِهِ⁽¹⁾، وكذلك لتحقيقِ طباقٍ إيجابيٍّ فيه غموضٌ ودقَّةٌ، وذلك بين الجدِّ الذي عبَّرَ عنه القرآنُ ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ واللَّعِبِ المفهومِ من اسمِ الفاعلِ ﴿اللَّعِينِ﴾⁽²⁾، وهما لفظانِ متضادَّانِ يزيْدُ تقابلُهُما الكلامُ حُسْنًا وطرافةً، ويدلُّ على تمكَّنهم من الضَّلالِ وشِدَّةِ عنادهم، ورفضهم لما يقولُ، فقد جعلوا الحقَّ منه أمرًا طارئًا عليه، واللَّعِبُ منه أمرًا ثابتًا فيه.

نكتة التعبير باسم الفاعل المجموع ﴿اللَّعِينِ﴾:

عبَّرَ البيانُ القرآنيُّ باسمِ الفاعلِ ﴿اللَّعِينِ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنْتَ مِنْ اللَّعِينِ﴾، ولم يقل: أَمْ أَنْتَ مِمَّنْ يَلْعَبُ؛ للإشارة إلى أنهم بذلك قصدوا إثباتَ قيامِ الوصفِ وهو اللَّعِبُ بالموصوفِ إبراهيمِ ﷺ، وثباته واستمراره عليه؛ لأنَّ اسمَ الفاعلِ يدلُّ على الثبوتِ والدوامِ؛ إذ هو غيرُ محدودٍ بزمنٍ بخلافِ الفعلِ.

وأما نكتةُ مجيئه جمعًا لا مفردًا فهي الإعلامُ بأنَّ إبراهيمَ ﷺ قد استقرَّ وصفُه عندهم ورسخَ فيمن يُطلقُ عليهم اللاعبون⁽³⁾، أي بالغوا في الحكمِ بتوغُّلِ كلامه ذلك في بابِ المرحِ، بحيث يكونُ قائِلُهُ مُتَمَكِّنًا في اللَّعِبِ عريقًا فيه، ومَعْدُودًا من الفريقِ الموصوفِ باللَّعِبِ والهزلِ الَّذِينَ يَقْتَصِرُ أَمْرُهُمْ فِي إثباتِ الدَّعَاوَى عَلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ⁽⁴⁾ أي إنَّهم لا يُعَيِّرُونَ كلامه التَّفَاتًا، ولا يجعلون له غايةً⁽⁵⁾.

مبالغة المشركين
في الحكم على
إبراهيم برسوخه
في وصف الهزل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 96 / 17.

(2) الطُّعْنِي، التفسير البلاغي للاستفهام، ص: 677.

(3) الطُّعْنِي، التفسير البلاغي للاستفهام، ص: 677.

(4) الطُّبَيْي، فتوح الغيب: 365 / 10، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 96 / 17.

(5) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4883 / 9.

❖ الفروق المُجَمَّيَّة:

اللَّعِبُ وَاللَّهْوُ وَالْعَبَثُ:

اللَّعِبُ: ضِدُّ الجِدِّ، وَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَا يُجْدِي عَلَيْهِ نَفْعًا⁽¹⁾، وَكَانَ فِعْلُهُ غَيْرَ قَاصِدٍ بِهِ مَقْصِدًا صَحِيحًا⁽²⁾، فَهُوَ: فَعْلٌ مَا لَا فَائِدَةَ فِيهِ، وَهُوَ بِمَعْنَى الْهَزْلِ، الَّذِي هُوَ ضِدُّ الْجِدِّ⁽³⁾، وَهُوَ عَمَلٌ لِلذَّةِ لَا يُرَاعَى فِيهِ دَاعِي الْحِكْمَةِ: كَعَمَلِ الصَّبِيِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْرِفُ الْحِكْمَةَ، وَإِنَّمَا يَعْمَلُ لِلذَّةِ⁽⁴⁾، لِيَتَحَقَّقَ فِيهِ مَعْنَى الْعَبَثِيَّةِ الَّتِي هِيَ عَدَمُ الْقَصْدِ وَالْجَدْوَى⁽⁵⁾، وَاللَّهُوُ: أَصْلُهُ يَدُلُّ عَلَى انْشِغَالٍ بِشَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ⁽⁶⁾، وَقِيلَ هُوَ مَا شَغَلَكَ مِنْ هَوًى أَوْ طَرِبٍ، وَهُوَ الصُّدُوفُ عَنِ الشَّيْءِ⁽⁷⁾، وَاللَّعِبُ بِهِ وَالتَّشَاغُلُ عَمَّا يَعْنِيهِ وَيُهَمُّهُ⁽⁸⁾، وَمِنْ مَعَانِي اللَّهِو فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: الْاسْتِهْزَاءُ، وَضَرْبُ الطَّبْلِ وَالْمَلَاهِي، وَالْوَلْدُ، وَالسَّرُورُ الْفَانِي، وَالْغِنَاءُ، وَالشُّغْلُ وَالْمَنْعُ⁽⁹⁾، وَالْعَبَثُ: هُوَ الْفِعْلُ لَا يُفَعَّلُ عَلَى اسْتِوَاءٍ وَخُلُوصٍ صَوَابٍ⁽¹⁰⁾، وَهُوَ أَنْ يَخْلِطَ بِعَمَلِهِ لَعِبًا، فَيُقَالُ لِمَا لَيْسَ لَهُ غَرَضٌ صَحِيحٌ⁽¹¹⁾، وَاللَّعِبُ فِعْلٌ، وَاللَّهُوُ انْصِرَافٌ وَانْشِغَالٌ، وَقَدْ لَا يَكُونُ فِعْلًا؛ مِثْلُ الْغَفْلَةِ، فَهِيَ مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ، فَيَتَمَيَّزُ لَفْظُ اللَّعِبِ بِأَنَّهُ ضِدُّ الْجِدِّ، وَأَنَّهُ فِعْلٌ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، وَيَتَمَيَّزُ لَفْظُ اللَّهِو بِمَعْنَى الْغَفْلَةِ وَالتَّشَاغُلِ عَنِ

الجاهل لا يفرق
بين حديث الجد
ذي الجدوى،
وبين اللهو
والعبث

(1) ابن منظور، لسان العرب: (لعب).

(2) الزَّائِبُ، الْفُرْدَات: (لعب).

(3) السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عمدة الحَقَاط: 25 / 4.

(4) الْعَسْكَرِيُّ، الْفُرُوقُ اللَّغَوِيَّةُ، ص: 254.

(5) مُحَمَّدُ جَبَل، الْمُعْجَمُ الْاِشْتِقَاقِيُّ لِلْمُؤَصَّل: (لعب).

(6) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللَّغَةِ: (لهو).

(7) الْخَلِيلُ، الْعَيْن: (لهو).

(8) الزَّائِبُ، الْفُرْدَات: (لهي)، وَالسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ، عمدة الحَقَاط: 45 / 4، وَابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ،

وَالزَّيْدِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ: (لهو).

(9) ابْنُ الْجَوْزِيِّ، نَزْهَةُ الْأَعْيُنِ التَّوَاطُرُ، ص: 536.

(10) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللَّغَةِ: (عبث).

(11) الزَّائِبُ، الْفُرْدَات: (عبث).

شيءٍ بشيءٍ، وفي العبثِ معنى الخلط والعشوائية، وعدم القصد الصحيح، ومن هنا كان لفظُ اللَّعبِ أنسبَ الألفاظِ لسياق وصفهم لإبراهيمَ ﷺ بعدم جدوى حديثه، وعَبَثِيَّتِهِ، وانتفاءِ الحكمة منه، حاشاه من وصفهم.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 33، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-75-4

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 33: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-75-4

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»